# نحو موسوعة حديثية تقنية متكاملة

## الواقع والمأمول

تَصَوُّر:

**مازن بن محمد السرساوي**

الأستاذ المشارك بقسم السنة وعلومها، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

والمشرف العام على تنفيذ جامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله للسنة النبوية بشركة حرف بالقاهرة سابقًا

**الملخص**

إن إنتاج موسوعة حديثية تقنية شاملة متكاملة، دين في عنق أهل هذا العصر، لم يسقط عنهم بعد! ولن يسقط حتى ينتدب له من يقوم به على وجهه الذي سأحاول الإشارة إليه بإيجاز في هذه الأوراق.

وليس من وكدي في هذه الورقة أن أعين كلاً ولا حتى بعضاً من الخدمات أو التقنيات التي يتصور وقوعها في المستقبل القريب أو البعيد في خدمة السنة، فإن ذلك مما يحتاج إلى عمل ونظر لفرق من المتخصصين، وهو ثمرة ما نتكلم عنه الآن، وليس جزءاً منه، وإنما قصدي أن ألفت النظر إلى الطريق الذي ينبغي أن نسير عليه في هذا الشأن لنصل يوماً ما ولو بعد حين إلى هدفنا المنشود.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه،

**أما بعد:**

فإن من الحقائق التي لا يكاد يمتري فيها عالم أو متابع لتطور العلوم الشرعية على وجه الخصوص: هذا التفاوت الشاسع بين السلف والخلف في خدمة هذه العلوم كماً وكيفاً، فقد كانوا ملء السمع والبصر، وشادوا هذا البناء السامق من العلوم المتنوعة التي أحاطت بالشرع المشرف من كل ناحية، فحفظته من تسلل العابثين ونفت عنه تحريف المبطلين، وقد أمدهم الله تعالى بمواهب أمكنتهم من ذلك التفوق الذي قل ما تكرر بعد ذلك، ثم تناقص هذا الحال حتى آلت الأمور إلى ما لا يخفى على أحد، ولو استمرت على ما آلت إليه من الضعف والفتور لآذن هذا بتلاشي علوم الشريعة وضياعها، ولكن الله الذي تكفل بحفظ دينه تكفل بحفظ ما لا يحفظ الدين إلا به من علوم الشرع المطهر، فكلما قصرت الهمم عوض الله ذلك القصور بما ييسره ويهدي إليه من وسائل تقريب العلوم وتيسيرها للخلق، وسيظل هذا التعويض مستمراً حتى يأذن الله بالأمر ويتأهب الناس للساعة فينقطع التعويض فيتلاشى العلم ويظهر الجهل حتى يستبد بالناس، ولا يدرى دين ولا علم، وعندئذ تقوم الساعة.

**مشكلة البحث**

تحاول هذه الورقة الإجابة عن هذا السؤال الرئيس:

ما هو التصور المناسب للتأسيس للموسوعة الحديثية التقنية الشاملة الآن في ظل هذا التطور المذهل للتكنولوجيا؟

**هدف البحث وغرضه:**

بيان التصور المناسب للتأسيس للموسوعة الحديثية التقنية الشاملة في ظل هذا التطور الهائل للتكنولوجيا.

**منهج البحث:**

يقوم البحث على استقراء أهم الجهود المبذولة الآن في هذا الميدان، ثم ينتقل إلى المنهج الوصفي لرسم الصورة العامة للأسس والقواعد التي ينبغي أن تقوم عليها الموسوعة الحديثية المأمولة.

**الدراسات السابقة:**

لم أقف على من كتب في هذا السبيل قاصداً ما قصدته، وإن كانت هناك كتابات منوعة في عموم حوسبة السنة، ولكنها دائرة في فلك آخر غير الذي حاولت الدوران فيه.

**خطة البحث:**

وتنتظم بعد هذه المقدمة المقتضبة في مبحثين:

المبحث الأول: واقع الموسوعة الحديثية التقنية.

المبحث الثاني: التصور المأمول للموسوعة الحديثية التقنية.

ثم تنتهي بالخاتمة وفيها أهم التوصيات.

وأسأل الله تعالى أن يكون فيما كتبت فائدة، ومنه عائدة تعود على السنة النبوية والمعتنين بها بما فيه بلوغ الأرب، وحصول الطلب، والله من وراء القصد، وبنعته تتم الصالحات.

## المبحث الأول: واقع الموسوعة الحديثية

على الرغم من ظهور الحاسب الآلي منذ ما يقارب السبعين عاماً، فإن التفات الدارسين إلى استخدامه في خدمة السنة لم يكد يظهر بصورة معتبرة إلا في العشرين عاماً الأخيرة فحسب، وفي الوقت الذي كان فيه الحاسوب شريكاً واضحاً بل أساسياً في خدمة علوم كثيرة من علوم الحضارة الإنسانية، وانتقل بها نقلات نوعية عملاقة، كان أغلب الباحثين في علوم السنة يتوجسون خيفة من مجرد التفكير في السماح له بدخول هذا الميدان ابتداء، لأسباب واعتبارات متعددة، مبررة وغير مبررة.

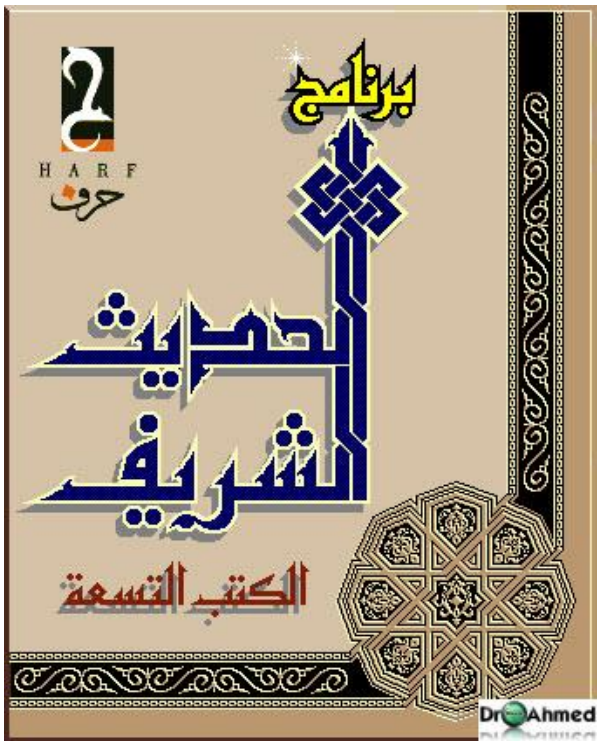


ويكاد يكون أول عمل جادٍّ لخدمة الحاسوب للسنة النبوية هو ما أنتجته الشركة العالمية، والتي تحولت بعد ذلك إلى شركة حرف لتقنية المعلومات، وهي أكبر الشركات السابقة إلى هذا الميدان فقد قدمت عدة إصدارات للكتب الستة كتاباً كتاباً، ثم توجت تلك الإصدارات بإصدارها الفارق «موسوعة الكتب التسعة»، والتي ظل مدة طويلة هو الأجود من بين برامج كثيرة ظهرت بعد ذلك ربما تفوقه في كم المصادر المخدومة ولكنها لم تبلغ شأوه في الجودة والإتقان والعناية أبداً، وإن كانت بلا ريب سدت ثغراً عريضاً كان خلواً من أي جهد تقني، وما لا يدرك كله لا يترك قِلُّهُ.

ثم كان ظهور المكتبة الشاملة نقلة أخرى كبيرة إذ عملت على جمع كل ما يمكن من كتب التراث لا سيما كتب الحديث ومتعلقاته في برنامج واحد سهل الواجهة، ميسور الخدمات، مجاني، فاستغنى الناس بها عن برامج قد تفوقها من ناحية الخدمات أحياناً، ولكنها لم تواكب الشاملة في سهولة الاستخدام واتساع المصادر.

وكما كان لشركة حرف شرف البدء، وبعد سكون طويل؛ ظهر برنامجها الأخير «جامع خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة السنة» ليشكل نقلة نوعية كبيرة في تسخير التقنية لخدمة السنة وعلومها.

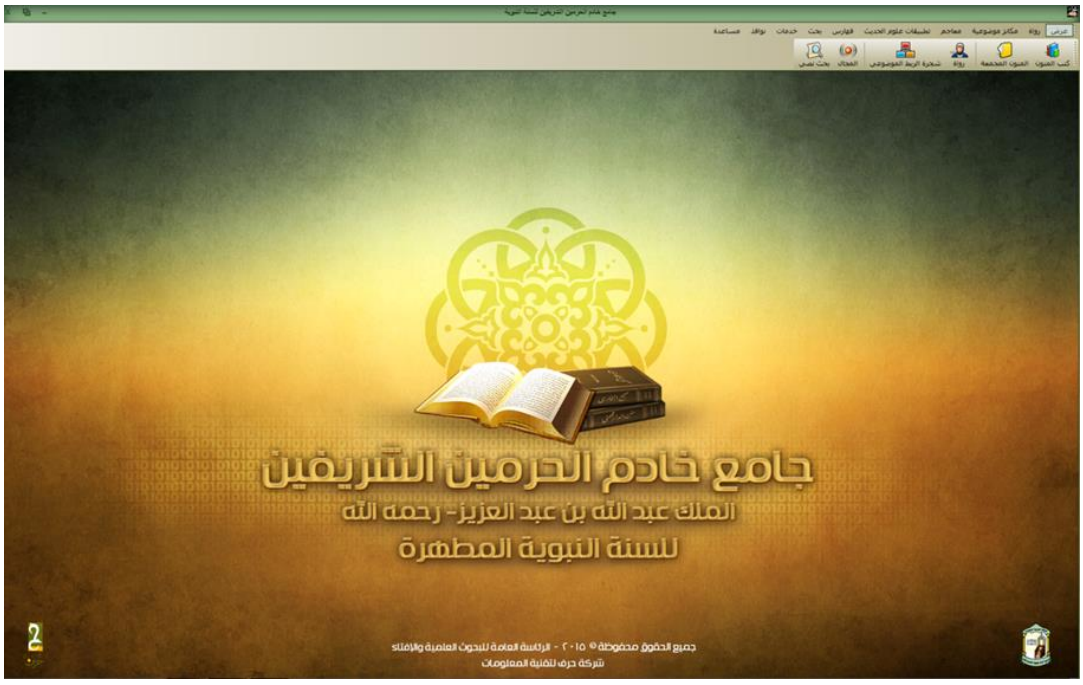

وبين ومن حول هذه البرامج التي ذكرتها برامج أخرى مهمة ومفيدة متكاثرة، كبرامج مركز التراث (الذهبية والألفية وأخواتهما)، وبرامج شركة العريس، وشركة إيجي كوم، وشركة رواية، وشركة العربية، وأفق، وغير ذلك الكثير، ولست أقصد قطعاً التأريخ لمسيرة البرمجيات الخادمة للسنة وعلومها، فهذا حديث يطول، وليس هذا محله، وإنما أردت التوصل إلى أن الأمر قد استقر الآن عند عامة الباحثين على الاعتماد على هذه البرامج الحاسوبية المذكورة، وعلى رأسها : المكتبة الشاملة، وجامع الملك عبد الله للسنة النبوية، وهما فيما أحسب متكاملان إذ ليس فيهما واحد يمكن الاستغناء به عن الآخر، فهذا الاستقصاء في المصادر التي تكاد تبلغه الشاملة وتسعى إليه سعيا حثيثا يأتي غالباً خالياً من كثير من الخدمات التي تعظم النفع به، في حين توجد طائفة من هذه الخدمات بصورة مكثفة في جامع السنة، ولكنها لا تغطي إلا ثلاثة وثلاثين مصدراً فحسب، والتي هي جميع مصادر هذه الموسوعة.

## المبحث الثاني: مستقبل الموسوعة الحديثية

إن البناء السديد للمستقبل دائماً هو الذي ينطلق من الماضي، من خلال فهمه وتحليله ومعرفة مكامن القوة، وكوامن الإبداع فيه، لاسيما فيما كان فيه الماضي أسبق وأجل وأبعد تقدماً من الحاضر، كما هو الشأن في الدراسات الحديثية، فإن ماضيها وقديمها قد بلغ الغاية القصوى من الإتقان والتفنن، والإحاطة والشمول، وتقعيد القواعد وضبطها، ووضع الأصول وتحريرها، والتحري الملحوظ في تطبيقها، بحيث إن أقصى أماني أهل الصنعة اليوم هو استيعاب ما خلفه هؤلاء النقدة القدامى من قواعد وتصرفات، ولا يطمعون أن يضيفوا إليه كبير شيء، بل حسبهم أن يتفهموه على وجهه فينكشف لهم بعض ما انكشف للنقاد الأوائل من الدلائل والقرائن والفهوم والضبوط وغيرها.

وقد ضعفت عامة الهمم إلا من رحم ربي، في هذه الأزمنة المتأخرة ضعفاً لا مثيل له في العناية بهذا الشأن، حتى كاد يتلاشى، لولا ما هيئه الله تعالى من هذه الوسائل والأدوات التي مكنت الباحثين من الوصول إلى ما لم يكن للنادر منهم الوصول إليه إلا بشق الأنفس، وفناء الأعمار، وإن كان هذا الخير لم يخل من شائبة بل شوائب قد تنغص على المستفيدين به، ولا يخل من ذلك شيء من أمر هذه الدنيا، وإذا كان صمويل كولت (ت:١٨٦٨م) قال – فيما يذكر- لما اخترع المسدس: «الآن يتساوى الشجاع والجبان»، فإن ظهور الوسائل الحديثة وعلى رأسها البرامج التقنية للسنة النبوية يمكن أن يقال فيها قريب من ذلك، فقد تساوي أحياناً بين الحافظ والجاهل، ولا زلت أذكر ولعي قديماً عند اقتنائي الحاسب في أول ظهور هذه البرمجيات بالتعقب على الحفاظ المتأخرين ببعض الطرق التي قالوا لم نقف عليها في كتاب فلان أو فلان، وتكون في غير مظنتها ويأتي بها الحاسب غنيمة باردة، وقد اغتر بمثل هذا بعض من لم يشم رائحة العلم، ولا عرف حقيقة الحاسب ولا مبلغ علم الحفاظ، فزعم أن ما في الحواسيب أكثر مما كان عند أئمة السلف من الأحاديث، وهذا كلام أهون من أن يحتاج إلى جواب.

وسأحاول في هذا المبحث إجمال الحديث عن «الموسوعة الحديثية الكبرى»، والتي يفترض أنها تجسد ما ينبغي أن تكون عليه الموسوعة المستقبلية المأمولة، وقد جريت في كلامي عنها على ذكر أهم الخطوط العريضة، التي أرى أنه من الأهمية بمكان وجوب مراعاتها عند العمل على إنشاء هذه الموسوعة لتكون ملبية لحاجات الباحثين، مستثمرة لأقصى ما يمكنها استثماره من متاح التقنية اليوم.

***مشروع الأمة وحلم المختصين***

إن إنتاج موسوعة حديثية تقنية شاملة متكاملة، دين في عنق أهل هذا العصر، لم يسقط عنهم بعد! ولن يسقط حتى ينتدب له من يقوم به على وجهه الذي سأحاول الإشارة إليه بإيجاز في هذا الأوراق.

وليس من وكدي في هذه الورقة أن أعين كلاً ولا حتى بعضاً من الخدمات أو التقنيات التي يتصور وقوعها في المستقبل القريب أو البعيد في خدمة السنة، فإن ذلك مما يحتاج إلى عمل ونظر لفرق من المتخصصين، وهو ثمرة ما نتكلم عنه الآن، وليس جزءاً منه، وإنما قصدي أن ألفت النظر إلى الطريق الذي ينبغي أن نسير عليه في هذا الشأن لنصل يوماً ما ولو بعد حين إلى هدفنا المنشود.

إننا لا نزال ومنذ بدء العناية بتقنية علوم السنة وإنتاج البرمجيات المتعلقة بذلك وإلى الآن، لا نزال في مرحلة استخدام التقنية فحسب، (ولم نأت على هذا المرحلة بكمالها بعد، وإنما لا يزال هذا الاستخدام بصورة جزئية بسيطة) ولم ننتج بعد تقنية علوم السنة بالمستوى المطلوب اللهم إلا نماذج يسيرة في بعض الأدوات الذكية التي استخدمت في إنتاج بعض البرامج، ومع ذلك فهي لا تزال تجارب متواضعة في أول الطريق.

ولست أقلل من أهمية مجرد استخدام التقنية هنا، فهي نقلة كبيرة وخطوة في طريق الصواب، ولابد أن تستمر على التوازي مع إنتاج التقنية الحديثية.

ولكن نحن بحاجة إلى أن ننتج هذه التقنية الحديثية الذكية، هذه التقنية التي لا تقوم فحسب على مجرد ترتيب المعلومات المدخلة وإخراجها حسب ما أراد مدخلوها، وإنما تلك التي تجعل الحاسب نفسه بعدما يتغذى بالمعلومات المناسبة والضوابط الحاكمة والقرائن المرجحة يقوم هو بإخراج النتائج التي يسعى في تطويرها لتصبح موافقة للأصول والضوابط مع الوقت، فيقوم بدور الحافظ الناقد، شيئاً فشيئاً، وقد يتوجس البعض خيفة من هذه الخطوة كما توجسوا من قبل عند مجرد استعمال التقنية، ولكن كان توجسهم في غير محله، فلم تخسر السنة شيئاً بدخولها في هذا الاستخدام الأولى بل كسبت وكسب طالبوها الكثير، وكذلك سيتضاعف هذا المكسب بصورة هائلة في الخطوة الثانية التي نتحدث عنها الآن، ولن تخسر السنة ولا طالبوها شيئاً؛ لأن أحداً لا يطالبهم باعتماد نتيجة من النتائج على أي مستوى إلا بعد التأكد من صوابها أو على الأقل عدم الخلل فيها وإن لم يجزم فيها بصواب.

وإن إنتاج مثل هذه الأدوات الذكية لا يمكن أن يتأتى من فراغ البتة، وإنما يحتاج إلى بحوث مركزة، وعمل دائب، وفرق متكاتفة تعمل في هذا السبيل ليل نهار، وبأبحاثها وتوصياتها تدور عجلة إنتاج التقنية الحديثية، وهذا هو الحاصل في كل المنتجات التقنية الضخمة التي تخدم عامة العلوم المستفيدة من التقنية بصورة متطورة، فإن الفكرة المبدعة هي شرارة البحث المحرر المتقن الدائب؛ ذلك الذي ينضج بدوره الآلة التي تصنع المعجزات.

وانظر إلى ما وصلت إليه التقنية في علوم كالطب والهندسة والفضاء وغيرها الكثير مما لا ينكر أثره الجليل أحد، ولم يأت بين عيشة وضحاها، ولا كان قط غنيمة بارة، ولا تكبيرة من حارس، وإنما كان حلماً وهدفاً مخططاً له مدروساً بكل تفصيلة من تفاصيله.

وإن الواقع المعاصر المتسارع التنامي في مجال الحوسبة والتقنية مما يحتم علينا السير في هذا الطريق واستباق العمل فيه، قبل أن يفطن له من ليس من أهله، فيقع أهله في الحرج، فإن رد الشبهات والأغاليط يتطلب في أحوالاً كثيرة معرفة كيفية تركيب هذه الشبهة ليسهل نقضها، فإذا استبق أعداؤنا إلى إنتاج هذه التقنية، فلسوف يستعملونها في تحقيق مآرب لهم لا تخفى، وسيكون بوسعهم إنتاج مئات الأمثلة بل وألوفها مما يمكنهم التشبيه به على الباحثين قبل العوام، ومثل هذا يحتاج نفس التقنية التي بنيت بها الشبهات ليكتشف الباحث بنفس السرعة مباني هذه الشبهات فيسهل عليه نقضها في الوقت المناسب لمثل ذلك. ولو رجعنا إلى الوراء نحو مائة عام لوجدنا ما يمكن تشبيهه بما أتوجس منه الآن، ففي مطلع القرن العشرين كان أهل الحديث ركوداً، لا يكاد أحد منهم ينشط لأكثر من خدمة نفسه فيما يكتب أو يُخَرِّج معتمداً في الأكثر على عزو السابقين من المخرجين، اللهم إلا نفراً يعد على أصابع يد واحدة وقد لا يستغرقها كانت لديهم بعض الفهارس الخاصة، إلى أن أخرج المستشرقون «المعجم

المفهرس» و«مفتاح كنوز السنة» فكانا فتحاً مبيناً، وفر على أكابر الباحثين يومها ثلثي أعمارهم، فلك أن تتصور أن هذه المفاتيح ظلت كما كان مقرراً لها حكراً على جماعة المستشرقين، فاستخرجوا من خزائن كتب السنة الأحاديث وشبهوا وتلاعبوا، كم من الوقت كان يمكن أن يستغرقه الباحث ساعتئذ للوقوف على مصدر ما نقلوا وشبهوا به لا سيما في الدقائق؟ إذا أردت الجواب فراجع ما قال العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر عن بحثه عن حديث في «جامع الترمذي» عدة سنوات لا يهتدي إليه مع أن له عناية كبيرة بكتاب الترمذي هذا فكيف لو كان الحديث في مسند الإمام أحمد؟؟

ومن العجيب أن كتابي المستشرقين المذكورين ظلا متربعين على عرش الفهارس الحديثية المعاصرة بقية القرن، ولم يزاحمهم هذا المقام أحد، إلا في خواتيم القرن لما عمل أبو هاجر السعيد بسيوني «موسوعة أطراف الحديث الشريف»، فكانت أوسع دائرة إذا شملت فهارس أحاديث نحو مائة وخمسين مصدرًا في حين كان أوسع كتابي المستشرقين المذكورين يعالج أربعة عشر كتاباً فحسب، ثم ما لبث أن بدأت البرامج الحاسوبية في الظهور فكشفت عنا كرب التبعية للغرب حتى في أخص خصائصنا، ولله الأمر.

وعود على بدء، فإن هذا المطلوب لا يتحقق إلا إذا صار هدفاً استراتيجياً، توضع الخطط والتصورات والمراحل للوصول إليه.

إننا بحاجة إلى «مركز أبحاث تقنية علوم السنة» يعمل فيه المتخصصون في السنة يداً بيد مع المتخصصين في علوم الحاسب، وفي تقنية المعلومات، وفي الذكاء الاصطناعي، ومع المبرمجين، في منظومة متكاملة متناغمة عبر خطط مدروسة وآليات محددة للوصول إلى المبتغى.

إن الفارق بين استخدام التقنية وإنتاجها هو نفس الفارق بين مجرد استعمال الكمبيوتر، وبين إنتاجه، وهو لا شك فارق مهول، وهو نفس الفارق بين ركوب الطائرة وصناعتها.

ويمكننا القول بأننا إذا وصلنا إلى مرحلة أن نسأل الحاسب عن الحديث وعلته وحال الراوي العام والخاص وملابساته، فيجيب في كل ذلك وفق القواعد والضوابط التي يتقنها الحفاظ، مستعملاً جميع البيانات والمقارنات اللازمة، معللاً جميع اختياراته، فعندئذ نكون قد أنتجنا الموسوعة التقنية الحديثة.

وأبدا؛ فلن تغني هذه الموسوعة الذكية عن العلماء والحفاظ، ولن تحل محلهم، ولكنها ستكون مساعداً مهماً لهم، وإذا وضعنا في الحسبان أن الباحث الحق وطالب العلم المجد لن يسلم لمثل هذه النتائج حتى يراجعها ويستيقن صحتها أو على الأقل عدم وجود الخلل الظاهر فيها، فإننا لم نخسر شيئاً وإنما وفرنا أعماراً وأوقاتاً، للتحرير الذي قد لا تبلغه هذه التقنية الذكية.

إن اتساع المطبوعات من كتب السنة وعلومها الخادمة، والتي من المتوقع أن تتضاعف هذه المطبوعات في الأيام الآتية لتوفر المخطوطات بكثرة، وانفتاح دائرة تداولها، ويسر الحصول عليها، ويتواكب هذا مع كثرة الشواغل والملهيات، وقلة البركة في الأوقات، مما يستدعي أن يكون هناك وسائط أكثر فاعلية وأشد ذكاء تساعد على استمرار عملية التوازن بين هذا الكم الضخم من المعلومات والجهد المتناقص في استثماراها في المقابل.

*** الجهة المنفذة ***

ولعل أهم صفة يتحتم توفرها في المنتصب لهذه المهمة الكبيرة أن يستحضر جلالة الأمر وعموميته، فينخلع من الولاءات الضيقة، والمصالح الشخصية، التي تحشر مصالح الأمة في مصلحتها الخاصة؛ ولذا لا أحسب أنه يصلح لهذا العمل الشركات التجارية ولا المؤسسات الشخصية، وإنما ينبغي أن يكون وقفاً مستقلاً، مملوكاً للأمة، مفتوحاً للجميع للوصول إلى الهدف المرسوم، بكل جد وإخلاص وإعلاء لمصلحة الديانة والسنة ولا شيء قبل ولا شيء بعد!

***الهيئة الاستشارية***

ولا بد حتى يوثق بمثل هذا العمل أن يكون ذا مرجعية تليق به، فيدعى لذلك طائفة من أكابر المحدثين على اختلاف تخصصاتهم الدقيقة، ويساندهم طائفة من أكابر العلماء في التخصصات المتقاطعة مع السنة وعلومها، من علوم الفقه وأصوله، واللغة وفروعها، ونحو ذاك، ويكون دورهم:

- اقتراح ما يرونه مهماً من الأعمال والخدمات.
- والتيقن من صحة التصورات التي سينبني عليها العمل.
- وضبط القواعد العامة المختلف فيها.
- وحل الإشكالات الكبرى التي قد تطرأ أثناء مراحل التنفيذ.
- وغير ذلك مما يقرر في وقته.

وبعض الناس يرى أنه لا يدعى لهذه الهيئات الاستشارية إلا من كان له عناية بالحاسب من المتخصصين، ولكن هذا ليس بلازم في الحقيقة فإن دور هذه الهيئة لا علاقة له في شطر كبير من وظائفه بالحاسب، وإنما دورهم كما سلف علمي وبحثي بحت، والخلاف بينهم أمر متوقع لا يمكن رفعه ابتداء، وإنما يمكن دفعه إذا وقع بطرق الترجيح المستعملة عند اختلاف العلماء في مثل هذه المجالس والهيئات.

*** التخطيط الاستراتيجي ووضوح الأهداف القريبة والبعيدة***

الأعمال الكبرى لا تكاد تنجح إلا بتخطيط طويل المدى يستشرف المستقبل ويتأهب له كما يستوعب الحاضر ويستثمره، ويحدد بصرامة تامة وجزم أكيد ما الذي يريد الوصول إليه من خلال هذا العمل، ليجيب بوضوح على أكبر وأهم سؤال في أي عمل، وهو (لماذا؟) أي لماذا هذا العمل؟

ولهذا لا بد من تحديد الأهداف البعيدة التي هي الغاية الكبرى من المشروع، وهذه الأهداف الغائية الكبرى لا يمكن الوصول إليها ولا تحقيقها عادة إلا عبر سلسلة من الأهداف الصغيرة المرحلية التي يأخذ بعضها برقاب بعض لتسلم للأهداف الكبرى، فلابد من وضوح هذين النوعين من الأهداف الكبرى والصغرى، ووجود هذه الأهداف ووضوحها لجميع العاملين على المشروع يقتضي صنع الخطط المناسبة لتحقيقها، والخطط البديلة عند عدم التمكن من تنفيذ الأساسية، وهذه الخطط ستجيب عن جميع الأسئلة المهمة الباقية، وهي (كيف؟ ومتى؟ وبكم؟) أي كيف نصل إلى أهدافنا؟ ومتى نصل؟ وكم تكلفة هذا الوصول؟

وإذا أردنا أن نضع هدفاً بعيداً غائياً لهذه الموسوعة الكبرى، فيتصور أن يكون: «جمع كل ما وصلنا من كتب السنة بشتى صنوفها في موسوعة واحدة، وخدمتها خدمات نوعية من ناحية النص، والضبط، وتكشيفها تكشيفا تاما، يمكن الباحثين من إدراك العلاقات الدقيقة بينها ويكشف لهم ما كان واضحا أمام أعين الحفاظ الجامعين من العلوم والفهوم والقرائن والعلل التي لا يمكن ظهورها إلا بالربط الدقيق وإظهار العلاقات الخفية بين الرواة والأحاديث وأحوالهما»، أو بعبارة ملخصة مفيدة: «محاولة بناء منظومة حديثية آلية تحاول إظهار ما كان يظهر للأئمة النقاد عند كلامهم عن الأحاديث من معارف وعلاقات وضوابط ونحو ذلك».

وهذه الغاية تعتمد على ركنين كبيرين، أولهما: الاستقصاء التام الممكن لجميع الأسانيد والروايات الموجودة اليوم بين يدي الناس في المطبوعات والمخطوطات المتاحة على اختلاف فنونها. والثاني: التكشيف الدقيق لجميع محتويات هذه الأسانيد والروايات ومتعلقاتهما، بحيث لا يبقى شيء يدور في خلد الباحثين الحاجة إليه يوما ما إلا وقد كُشِّفَ.

وهذان الركنان هما في الحقيقة كالمحاكاة لما كان في أذهان الحفاظ النقدة، فقد تميزوا بالحفظ الباهر والاطلاع الواسع، ومعرفة القرائن والدلائل والملابسات، فتجمع في أذهانهم حول كل حديث وكل راوٍ قدراً كبيراً من المعلومات والمعارف المتشابكة من هنا وهناك، والمنضبطة بالقواعد الصارمة التي تحكم عملية النقد برمتها، والتي سددت حكمهم على كل قضية، بما لا تراه على هذه الصورة النادرة في

تصرفات من بعدهم، ممن لم يجمع جمعهم، ولا حفظ حفظهم، ولا أدرك ما أدركوه من القرائن والعلائق والملابسات.

*** قائمة مصادر الموسوعة ***

ينبغي أن تُسْتَقْصَى جميع المصادر المتاحة مطبوعة أو مخطوطة، مما له أي تعلق بالسنة وعلومها، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول**: المصادر المسندة، وهي كل مصدر يغلب على رواياته الإسناد، وهذا يدخل فيه جميع أنواع المصنفات المسندة المتعلقة بالسنة وفروعها المتداولة بالتصنيف الحديثي.

**القسم الثاني**: المصادر التي بها مسانيد، وهي كل مصدر يغلب عليه عدم الإسناد، ولكن توجد به بعض النصوص المسندة، وسيدخل في هذا مع كتب السنة التي على هذه الشاكلة، ما يتوفر فيه هذا الشرط من كتب التواريخ والرجال وغيرها مما يمكن انطباق هذا الشرط عليه.

**القسم الثالث**: المصادر التي ليست بمسندة، وهي التي لها علاقة بالحديث وعلومه ولكنها خالية من الإسناد عادة.

وترتب هذه القائمة بالترتيب السابق للابتداء بالأهم فالمهم في الخدمة في مراحل إنجاز الموسوعة، فيبدأ بالقسم الأول، فإذا استقصي انتقل للثاني، وهكذا الثالث.

وترتب تارة أخرى على وفيات المؤلفين في كل قسم يتم إنجازه، ثم في جميع الأقسام عند تمام الإنجاز، ليكشف كثيرا من تاريخ الرواية والأفكار والعلوم من ورائها وما طرأ عليها عند تسلسل التداول عبر الأزمان، واختلاف الأجيال، وغير ذلك.

*** النص المعتمد ***

إن عامة النصوص المتداولة للكتب الحديثية وما يدور في فلكها بل وعامة التراث المطبوع، لم ينل حقه من التحقيق والتدقيق، فلم يسلم كثير منه من غوائل الخطأ والتصحيف، وشأن الخطأ والتصحيف في النصوص الحديثية أفظع أثرا وأشد إشكالاً منه في غيرها من النصوص، فإن النصوص الحديثية تشارك جميع نصوص العلوم الأخرى في مفاسد التصحيف فيها، ثم تزيد النصوص الحديثية بما يترتب على تصحيف أسماء الرواة من تحويل الثقة إلى ضعيف أو كذاب، والعكس، وهذه داهية الدواهي، وثالثة الأثافي، إذ يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، وتعظم جناية التصحيف لتصل إلى حدها الأشنع عند استخدام هذه النصوص المصحفة في البرامج الحاسوبية، فتصور أن يتصحف عبد الله العمري إلى عبيد

الله العمري، والأول ضعيف والثاني ثقة، ويجري تعيينه كذلك في إسناد هذا الحديث على الثاني (عبيد الله) فبدلاً من أن يكون الغلط في موضع واحد قد ينتسخ إلى عشرات المواضع، فتعظم المصيبة ويشتد الإشكال؛ ولذا يجب على منتجي البرامج أن يتحروا أصولاً صحيحة لاعتمادها في أعمالهم.

وهذه الموسوعة المأمولة ينبغي كذلك أن يختار لها أصح النصوص المتاحة، فإن تعددت الطبعات المتقنة للكتاب الواحد جمعت وقورن بينها لا سيما في مواطن الإشكال، مع استحضار الأصول الخطية المتقنة المتاحة لهذه الكتب، والتي يجب الرجوع إليها دائماً في مواطن الإشكال والاشتباه، مع ما توفره طبيعة وأدوات العمل في مثل هذه الموسوعات من مقارنات متعددة، يعسر توافرها في أي عمل تحقيقي يدوي، مما يتعاضد كله ليصل بالنص إلى أعلى مراتب الدقة والتصحيح، وبما يفوق جميع النشرات المتاحة للنص خارج الموسوعة.

وينبغي أن يعلق على كل لفظ أجري عليه تحرير ما أو تحقيق بخلاصة ما كان، وسبب التعديل، فتجتمع ألوف الحواشي التصحيحية على جوانب النص ليعلم المطالع ما الذي حدث ولماذا خولفت الطبعات في هذه المواطن، وهكذا.

وبعد كل ذلك تربط جميع الكتب في الموسوعة بمصورات جميع طبعاتها المتاحة، وكذا أهم مخطوطاتها المتوفرة، ليكون أمام الباحث بعد ذلك جميع المعطيات فربما يريد أن يعمل نظره الخاص في بعض المواطن، ولا يتقيد باختيار فريق العمل بالموسوعة.

*** الخدمات الأساسية ***

ولا شك أن هناك خدمات متنوعة يمكن العمل على إنتاجها، وإن كنت لا أقصد إلى ذكر تفاصيلها في ورقتي هذه، ولو قصدت لما وسعني ذلك، ولكن أركز فقط على بيان فلسفة ما يمكن أن نسميه الخط العام لإنتاج الخدمات، فكل موسوعة لها فلسفة خاصة هي التي تحدد وجهتها وماهية الخدمات فيها، فالموسوعات المعتنية بالخدمات وتطويرها تجعل من الحديث مركز الخدمات في الموسوعة، فيكون هو نقطة البداية وتدور حوله الخدمات، من تخريج، وشواهد، وترجمة رواة، وحكم عليه، وربط موضوعي، وتشجير أسانيد، وغير ذلك. في حين تكون فلسفة الموسوعات القائمة على الحشد الكمي لا الخدمي، تجعل من الاستقصاء المصادري والحشد العددي للمراجع مركزاً للموسوعة، وتأتي الخدمات الحديثية الخفيفة على هامش هذا التركيز الكمي.

وكلا الفلسفتين قاصرتان لا تحققان الهدف المنشود، فإن الخدمات الكيفية المتطورة لا يمكنها الوصول إلى نتيجة محررة مع النقص الحاد في المراجع والمعطيات الكمية. فتأتي النتيجة على دقتها شكلاً

مختلة موضوعاً أحياناً. وكذلك الحشد الهائل للمعلومات دون خدمات حقيقة لا يخرج بنتيجة محررة كذلك، بسبب عدم القدرة على الوصول إلى المعلومات وربطها بصورة دقيقة.

فالموسوعة الحديثية المأمولة لابد وأن تسير على الخطين معا بنفس القوة والعناية: الكم والكيف.

وثمة تطوير مهم جداً يجب وضعه في محله اللائق من فلسفة هذه الموسوعة المأمولة؛ وهو أن يتاح فيها السماح بالانطلاق من الراوي انطلاقاً تاماً، جنباً إلى جنب مع الانطلاق من الحديث؛ لأن الواقع أن الراوي قبل الرواية، ونعم؛ لا يمكن الحكم على الراوي إلا بعد الحكم على روايته؛ ولذلك من الأهمية بمكان أن تجري الخدمات والتربيطات الخادمة لهذه العلاقة الوطيدة بين الراوي وروايته، ولا يمكن الدخول لهذا من بوابة الحديث، وإنما يدخل إلى هذا من بوابة الراوي، بحيث تعرض جميع أحاديثه، مفروزة إلى ما صح من حديثه أو على الأقل لم يستنكر، وإلى ما استنكر، ومفروزة حسب الرواة عنه، وحسب شيوخه، وحسب ما تفرد هو به منها، وما وافقه غيره من أهل طبقته في روايتها، ودرجة موافقيه، وحسب اعتبارات كثيرة، مع إحصائيات دقيقة تكشف كثيراً من واقع الراوي الذي لا يظهر إلا بهذه المقارنات والتربيطات؛ التي كانت حاضرة في أذهان الأئمة النقاد حفظاً وفهماً، فأنتجت أحكامهم على الرواة.

***خطوط إنتاج الخدمات***

كل خدمة في الموسوعات الكبرى تحتاج إلى أداة تنفيذ، أشبه ما تكون بخط الإنتاج في المصانع الكبرى، ذلك أن الخدمة الواحدة تطبق على عشرات أو مئات الآلاف من النماذج، وأي خلل في إنتاج هذه الخدمة يتكرر بمقدار هذا الكم الهائل من النماذج المنفذة؛ ولذلك لابد أن تأخذ أدوات التنفيذ هذه وقتها الكافي إعداداً، وتكويناً، واختباراً، وتجريباً، وتحريراً، ثم تدريباً وممارسة، وكل هذه المراحل تقريباً متساوية الأهمية:

-الإعداد: وهو صياغة فكرة الأداة، ومدخلاتها ومخرجاتها، وهما الذي سيدخل إليها وصفته وضوابطه؟ وكيف ستعمل؟ وما الذي ستنتجه؟ وهذا دور اللجان العلمية والهيئة الاستشارية.

-والتكوين: وهو تصنيع الأداة نفسها حسب التوصيف المعتمد من الهيئة الاستشارية، وحتى يكون هذا التكوين دقيقا؛ ينبغي أن يحصل المبرمجون القائمون على هذه الأدوات على دورات علمية مركزة في تفهم وإدراك ماهية الخدمات التي سيقومون بإنتاجها، وقد لوحظ فرق كبير جداً بين جودة الأدوات التي يقوم بها مبرمج ملم بطرف من تفاصيل التخصص الذي يخدمه بتصنيع أدواته، ومبرمج آخر خلو من هذه الإلمامة.

– والاختبار، والتجريب، وذلك لضمان أن ما تنتجه الأداة موافق للتوصيف المعتمد من قبل، والأجدى في هذا أن يقوم فريق الاختبارات التقنية باختبارها وظيفياً وتقنياً، ثم يعمل عليها فريق الاختبارات الشرعية كذلك، ولا يكتفى بذلك وإنما تطرح لعمل الفريق كاملاً فترة كاملة يوماً أو أقل؛ حتى تظهر جميع الإشكالات مرة واحدة؛ لا سيما تلك التي لا تظهر إلا بسبب هذا الاستعمال الجماعي والضغط الشديد، والتي عادة ما تكتشف بعد مدة من العمل الحقيقي، فتتسبب في إشكالات يصعب حلها إلا بجهد مضاعف.

– والتحرير: وهو استدراك جميع الملاحظات بعد الاختبار والتجريب، والعمل على ضبطها، ثم عرضها للاختبار مرة أخرى للتأكد من خلوها تماماً من جميع الإشكالات والملاحظات.

– وأخيراً: التدريب والممارسة: بالنسبة للباحثين حتى يتمكنوا من الإحاطة بوظائفها وجودة استخدامها، لتُحَقِّقَ الغَرَضَ منها.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، محاولة جعل كل هذه الأدوات التنفيذية ضمن نظام واحد، ولا تستخدم كأدوات منفصلة، فإن انفصال الأدوات، يستدعي تجهيز وإعداد المادة المنقولة بين كل أداة والتي بعدها، ثم مراجعتها وتدقيقها بعد خروجها من الأداة تمهيداً لتجهيزها وإعدادها للأداة التي بعدها، وهكذا، وهذا التجهيزات والإعداد والمراجعات مع كونها يستغرق وقتا ليس باليسير، فهي كذلك من مظان الإشكال والخلل في بعض الأحيان، ثم يترتب على هذا الانفصال وجود التعارضات أحياناً بين النتائج التي تنتج عن كل أداة على حدة لاسيما فيما ينبني فيه عمل أداة على مخرجات أداة أخرى.

***الفريق العامل***

وهذا أحد أهم ركائز نجاح العمل الكبرى، فاختياره وفق معايير صارمة أول طريق النجاح وباب الإنجاز المتقن، ولا بد من العمل على استقطاب الكفاءات ومتقني الباحثين مهما كلف ذلك، والتقتير في هذا كالتقتير في شراء الدواء الضروري الذي يؤدي التعجيل بالهلاك أو بالضرر الكبير، وإن آفة كثير من المشاريع الشرعية اقتصاد القائمين عليها في هذا الباب حتى يوفروا بعض المال، وفي الحقيقة لا يوفرون شيئاً، بل يخسرون أضعاف ما ظنوه توفيره، بسبب إعادة كثير من المهام لضعف إنجازها والمراجعات المتكررة، ومهما كانت المراجعات، فإنها لا تصلح جميع الإشكالات، فيخرج العمل وبه إشكالات معيبة، هي لا شك بصورة أو بأخرى تسيء إلى منتج هذا العمل.

وهذا الفريق العامل لا يستغني عن الدروات التدريبية والتثقيفية والمهارات المتنوعة والتحفيز المستمر، مما يزيد من قدرته على الإنجاز والإصابة وتحرير النتائج.

*** التغذية الراجعة ***

ولابد لهذه الموسوعة حتى تنجح أن تتيح لمستعمليها في أي مكان التواصل والتكامل مع فريق العمل وإمداده بالنقد والملاحظات والمقترحات، وهذا التواصل يمكن أن يكون بأحد طريقين:

الأول، وهو الأكثر شيوعاً: أن يتاح في المواقع التواصلية والتفاعلية للموسوعة قسما للمراسلة يمكن من خلاله كتابة الملاحظات، والتصويبات، والمقترحات، لتقع سريعاً في يد القائمين عليها، فتكون في محل النظر والمراجعة والإفادة.

الثاني: أن يوضع هذا القسم داخل الموسوعة نفسها، ويكون متاحاً عند الوقوف على أي نص أو خدمة أن يدون الباحث ملاحظته عنده، ويقوم البرنامج تلقائياً بسحب نسخة من هذا النص أو الخدمة ببياناته الكاشفة، ومرفقاً به الملاحظة، ويجمع كل ما يتحصل من ملاحظات أولاً بأول في خدمة الملاحظات المجمعة بالبرنامج مصنفة حسب موضوعها تارة وحسب موضعها تارة أخرى، ليتمكن المستخدم من مراجعتها في أي وقت إذا شاء، ويكون البرنامج معداً بأنه بمجرد اتصاله بالإنترنت أن يقوم بإرسال الملاحظات من كل نسخة إلى سيرفر البرنامج المتواجد بالشركة، ليتعامل معها أولاً بأول.

## الخاتمة

## وفيها أهم النتائج والتوصيات

بعد هذا التطواف السريع في تصور ما ينبغي أن تكون عليه الموسوعة الحديثية في المستقبل يمكننا تلخيص أهم النتائج في الآتي:

١- دخول التقنية إلى مجال خدمة السنة وإن تأخر كثيرا، لكنه أفاد إفادات كبيرة.

٢- لا يزال حجم الإفادة الحاصلة من دخول التقنية لخدمة السنة ضئيلاً بالنسبة للذي كان ينبغي أن يكون.

٣- لا زلنا حتى اللحظة مستعملين وبصورة جزئية للتقنية، ولم ننتج بعد تقنية حديثية بالمعنى الصحيح إلا في نماذج جزئية.

٤- ليس هناك موسوعة واحدة متكاملة تلبي جميع حاجات الباحث في موضع واحد، بل لا بد للباحث من استعمال أكثر من موسوعة لتحصيل ما يريد.

٥- غياب التخطيط الاستراتيجي، وضعف التواصل بل انعدامه عادة بين منتجي البرامج التقنية، أدى إلى ضياع وإهدار جهود كثيرة، وتكرار أعمال كثيرة، وحال دون الوصول إلى تحقيق هدف نهائي يتطلع له الجميع.

٦- تكاد تكون كل مقومات الوصول إلى الأهداف الكبار، بل وإنتاج التقنية الحديثية الذكية متوفرة في الأمة، ومع ذلك لم تتنادى الأمة ولا انتدب أحد بعد لاستثمار كل هذه المقومات للوصول إلى هذه الأهداف.

**ولذا يوصى بالآتي:**

١- العمل الجاد في سبيل البدء بإنتاج الموسوعة الحديثية الكبرى، والتي حددت بعض معالمها فيما سبق، والتي تلبي حاجة جميع الباحثين في موضع واحد.

٢- إنشاء وقف خاص لتقنية السنة، يعمل على التوسع في استخدام التقنية بالصورة المعهودة، ويؤسس لإنتاج التقنية الذكية بمعناها الشامل.

٣- إيجاد رابطة أو هيئة تجمع المؤثرين من صناع تقنية السنة والمعتنين بهذا، بقصد التنسيق والتكامل والتواصي والتعاضد، وإيقاف نزيف الإهدار المستمر بسبب غياب هذا التنسيق والتكامل.

٤- إنشاء مراكز أو كراسي بحثية بالجامعات لتقنية السنة، تعمل على التفرغ لهذا الباب بصورة أكاديمية منظمة.

٥- العناية المتزايدة بتدريب الطلاب وربطهم بهذه التقنية وإمدادهم بالجديد منها وكيفية الاستفادة منه.

والله من وراء القصد

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

# Towards a hadeth integrated technical encyclopedia
## Reality and hope

Mazen bin Mohammed Al-Sersawi
Associate Professor, Department of Sunnah and its Sciences, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Qassim University
And the general supervisor of the implementation of the encyclopedia of the The Servant of the Two great Mosques King Abdullah for the Prophetic hadeeth in Harf Company in Cairo, previously

Summary

The production of a hadeeth encyclopedia comprehensive technical integrated, debt in the neck of the people of this time, has not paid for them yet! He will not paid until he is assigned to him by his face which I will try to refer to briefly in these papers.

It is not my intention in this paper to look at both or even some of the services or technologies that are envisioned in the near or distant future at the service of the sonna. This requires the work and consideration of teams of specialists, the fruit of what we are now talking about, But rather to draw attention to the way in which we should proceed in this regard, one day, even after a while, to achieve our desired goal.